فى زمن كانت جميع الظواهر فيه يجرى العلماء فى تفسيرها بغير تفرقة ولا تمييز .

وسيبقى الاعتراف بنوعية الظواهر السيكولوجية أكبر دليل على قيمة الإنسان من حيث هو نسيج وحده ، ومن حيث هو كائن روحى ، فيمتنع عن التطوح مع الضلال فى أوهام المذهب المادى : فكل شىء فيه يحلل ويمزق ويوضع على مشرحة التحليل .

وعالم اليوم فى مسيس الحاجة إلى أن يعيد النظر فى قيم الأشياء على أساس المقابلة بين الروح والمادة . فليس أعلى شىء فى القائمة القوة ولا المادة ، ولكن الروح الحية الفياضة ، ثم نحن نقوم الأشياء بعد ذلك حسب تغذيتها لهذه الروح .

مراد وهبه

الشعور

« متى قلت روحاً فقد قلت شعوراً ، فما هو الشعور ؟ لا شك أنكم تقدرون أنى لن أحاول تعريف أمر هو على هذه الدرجة من العيان ، وعلى هذه الدرجة من الوضوح فيما نعانيه جميعاً . ولكنى أستطيع ، بدون أن أعرف الشعور تعريفاً لا بد أن يكون أكثر منه عموماً ، أستطيع أن أميزه بصفة هى أبرز صفاته ، فأقول إن الشعور يعنى الذاكرة قبل كل شىء . فلقد يعوز الذاكرة اتساع ، وقد لا تشمل من الماضى إلا جزءاً يسيراً ، وقد لا تذكر إلا الأمور التى وقعت منذ لحظة ، إلا أنه إما أن يكون هناك ذاكرة ، وإما أنه لا يكون ثمت شعور . فالشعور الذى لا يذكر من ماضيه شيئاً ، وينسى نفسه بغير انقطاع ، يفنى ويحيا فى كل لحظة ، وهل يعرف اللاشعور إلا بهذا . حين كان « ليبنتس » يقول عن المادة إنها روح آنى » كان يعتبرها ، شاء أم أبى ، غير شاعرة . فكل شعور إذن ذاكرة ، أى بقاء الماضى فى الحاضر ، وتجمعه فيه .

ولكن كل شعور فهو استباق للمستقبل . انظروا إلى اتجاه فكركم فى كل لحظة . إنه يهتم بما هو موجود ، ولكنه يهتم به فى سبيل ما سيوجد بالدرجة الأولى . إن الانتباه انتظار . ولا يكون شعور بدون شىء من الانتباه إلى الحياة .

فالمستقبل يدعونا إليه ، بل يجرنا جراً . وهذا الجذب المستمر الذى يجعلنا نتقدم فى طريق الزمان هو السبب أيضاً فى أننا نعمل باستمرار . فكل عمل جور على المستقبل .

فذكر ما لم يعد موجوداً ، واستباق ما لم يوجد بعد ، تلكم هى الوظيفة الأولى للشعور . ولو كان الحاضر لحظة رياضية ، لما كان ثمت حاضر بالنسبة إلى الشعور . إن هذه اللحظة حد مثالى ، نظرى صرف ؛ يفصل الماضى عن المستقبل . ولئن أمكن حقاً أن نتصور هذا الحد المثالى ؛ فإننا لا نستطيع أن ندركه بحال . فحين يخيل إلينا أننا بلغناه ، يكون قد ابتعد عنا . وإنما الذى ندركه بالفعل هو فترة سميكة من الديمومة متألفة من قسمين : ماضينا المباشر ، ومستقبلنا الوشيك . فعلى هذا الماضى نحن متكئون ، وعلى هذا المستقبل نحن منعطفون . فالاتكاء والانعطاف هما خاصة الكائن الشاعر . فقولوا : إن شئتم ، إن الشعور هو الصلة بين ما كان وما سيكون ، قولوا إنه جسر ملقى بين الماضى والمستقبل . »

من كتاب « الطاقة الروحية » لهنرى برجسون تعريب سامى الدروبى . الناشر دار الفكر العربى ص ٨ و ٩ .